

مداخلة: الدكتور عيش لعموري
المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة - الجزائر

دور المنهج أو الطريقة في تعليم اللغة بين النظرية والتطبيق

تمهيد:

إن عنوان المداخلة يعبر عن مدى نجاعة التعليم ونجاحه في تدريس اللغة، وقد اخترت العنوان عن قناعة ومن واقع تجربة بسيطة في ميدان التربية والتعليم، وبالخصوص في مادة الفلسفة، فالملاحظة العامة عن صعوبة تدريس هذه المادة، تكمن أساسا في مجموعة من العوائق التي تحيط بها، وإزالتها أو محاولة القضاء عليها، لا يتم إلا باستخدام مجموعة من القننات العملية والنظرية. إذ لاحظنا أن مادة الفلسفة وثيقة الصلة باللغة، فمتى كان توظيف اللغة توظيفا سليما لهذه المادة من حيث معانيها ودلالاتها وألفاظها، كان الأداء التربوي لها ناجحا. كما أرى أن أساس المواد المعرفية والفكرية، كالفلسفة واللغة من حيث تعليمها أو تعلمها يعود إلى مفعول المنهج أو الطريقة المستخدمة في العملية التعليمية لهذه المواد.

إن اللغة ظاهرة إنسانية تحمل في مضمونها بذور الفكر الحضاري الإنساني، منذ أن وجد الإنسان إلى يومنا هذا، فهي تمثل ألبوم تراكم من الألفاظ والدلالات، كان بسبب تواصل وتفاعل واحتكاك الأجيال فيما بينها عبر الملايين من السنين، أو منذ أن خلق الإنسان، واللغة لا تولد مع الإنسان، فهو يولد خاليا من المعارف، والشيء الذي يولد معه لاكتساب هذا التراكم اللغوي الموروث، هو الاستعدادات والوسائل الفطرية والحسية⁽¹⁾ والمعلوم لدى مفكري التربية والتعليم، أن التحصيل اللغوي والمعرفي، مرتبط بالمنهج أو الطريقة التي يعتمد المربي أو المكون عليها في تثبيت الفعل اللغوي، أو الظاهرة اللغوية عند الإنسان، ولكن السؤال الذي يطرح هنا، هل كل منهج أو طريقة ناجحة وناجعة في تكوين الفعل اللغوي؟ أم هناك منهج محدد في تدريس الحقل اللغوي؟ إن هذا الإشكال هو الذي نعمل على تحليله ضمن خطة نتبعها تمثل فيما يلي:

1- تحديد مفهوم المنهج: كلمة المنهج هي كلمة لترجمة لفظة فرنسية تعني méthode وأصلها يوناني استخدمها أفلاطون بمعنى البحث، أو الاعتبار بمفهوم ابن رشد (ت 595هـ-1198م) أو النظر أو المعرفة، واستخدمها أرسطو (322ق.م - 384ق.م) بمعنى البحث، واستخدم هذا اللفظ عند الأوروبيين في عصر النهضة، أنه مجموعة من القواعد العامة المصوغة من أجل الوصول إلى الحقيقة في العلم وقد عرف فلاسفة منطلق بوررويال المنهج سنة 1662م، أنه فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون جاهلين بها أو من أجل

(1) - يقول الله تعالى: "والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون" سورة النحل الآية 78، ذهب الإمام المودودي في تفسير هذه الآية أن السمع يشير إلى المعرفة التي اكتسبها الآخرون بينما يشير البصر إلى المعرفة التي يمكن تنميتها عن طريق الملاحظة والبحث، أما الفؤاد فهو بمثابة إشارة لتنقية تلك المعارف والشوائب، نقلا عن حلمي محمود فوده، وعبد الرحمن صالح عبد الله المرشد في كتاب الأبحاث، ط4 دار الشروق، ص 15.

البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين⁽²⁾ كما أن المنهج هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة مجموعة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته، قصد الوصول إلى نتيجة معلومة⁽³⁾ كما أن المنهج هو البرنامج الذي يحدد لنا السبيل للوصول إلى الحقيقة، أو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم⁽⁴⁾. إن مجموعة هذه التعاريف تبين لنا أن المنهج علم يبحث في الطريقة، والأساليب والتقنيات والأدوات من أجل تحقيق الفعل التعليمي، كما بين لنا تعريف المنهج في الاصطلاح. لكن المنهج الذي نقصده هنا هو المنهج المدرسي ووظيفته في تعليم اللغة، مع العلم أن هذا المنهج عرف تطوراً مع تطور المفاهيم التربوية وتقدم علم التربية على مر العصور، إذ في القديم عرف هذا المنهج المدرسي بأنه مجموعة من الموضوعات المختلفة المحددة للدراسة في كل مادة من المواد الدراسية، أو هو مجموعة المعلومات التي يجب أن يدرسها التلاميذ أو الطلبة في كل مادة⁽⁵⁾. وبهذا المعنى يصبح المنهج المدرسي كاصطلاح مرادف لمحتوى مقرر المادة الدراسية، فالمفهوم التقليدي للمنهج بني على تلقين المعرفة للمتعلمين، أي أن التلاميذ يتلقون المعارف التي تمثل التراث الثقافي والحضاري والاجتماعي من كل جوانبه، من الأجيال السابقة كقوالب جاهزة، وبالتالي فدور المنهج هنا نقل المعرفة والمبادئ والاتجاهات من الأجيال السابقة إلى الأجيال الناشئة⁽⁶⁾ ويكون هذا النقل بواسطة لغة.

فوظيفة المدرسة القديمة جمع التراث الإنساني وتيسير نقله للآخرين، وقد عرف هذا المنهج نقداً إذ كانت له آثار تربوية سلبية، منها أن ذاكرة التلميذ يحشوها بالمعلومات التي تتراكم في الذهن تراكماً كمياً، دون النظر إلى العمليات العقلية الأخرى، كالتفكير والابتكار، وأنه أهمل النشاط العملي، وركز على النشاط النظري.

أما المنهج في العصر الحديث فقد عرفه علماء التربية والتعليم. بأنه مجموعة الخبرات التربوية والثقافية والاجتماعية والرياضية والفنية، التي تهيئها المدرسة لتلاميذها داخل المدرسة وخارجها، قصد تأمين نموهم الشامل في جميع النواحي، وتعديل نشاطهم طبقاً للأهداف التربوية المطلوبة إلى أفضل ما تستطيعه قدراتهم⁽⁷⁾ وبهذا فالمنهج أصبح جزءاً من المادة الدراسية، وليس مرادفاً لها. فهو يشمل مختلف أنواع النشاط الذي يقوم به التلاميذ، ومختلف الخبرات التعليمية التي تكون داخل الصف أو تكون خارج الصف، والتي تشرف عليها المدرسة، وتعمل على تقويمها من قبل المعلمين. فمن مهام هذا المنهج في العصر الحديث والمعاصر تكوين نموذج التفكير عند المتعلم بحسب قدرة استيعابه للمعارف التي يحملها هذا المنهج. والموزعة بنسب معينة، رياضيات، فيزياء، علوم طبيعية، لغة، ولتحقيق هذا العمل المعرفي في سلوك المتعلم، لا بد من مراعاة مجموعة شروط عند توظيف هذا المنهج وهي:

- البناء المنطقي للتفكير العلمي المعاصر ووسائل دراسته.
- تحديد معايير تكوين وبناء الفعالية الفكرية عند المتعلم⁽⁸⁾.
- معرفة تأثير الأشكال المحددة للتفكير على النشاط الذهني عند المتعلم.
- تحديد شروط نفسية، واجتماعية، تضمن تحقيق الأهداف في الواقع العلمي، فالهدف التربوي الذي من وراء هذا المنهج المدرسي الحديث والمعاصر، هو تعديل السلوك لدى المتعلم من كل نواحيه الوجدانية، والعلمية، واللغوية، والفكرية، والاجتماعية. وهذا ما تهدف إليه اليوم التربية المعاصرة في التعليم، بإدخال مادة ضمن برامجها الدراسية تعرف باسم التعليمية أو التعليميات، والتي كانت بسبب ضرورة مسايرة التقدم العلمي والتكنولوجي، والحاجة إلى بناء أساليب وطرائق تربوية وفق إحداث

منجزات العلوم، ولا سيما علم النفس و التربية، اللذان يجعلان العملية التعليمية أكثر فعالية و قوة و نجاعة و كفاية.⁽⁹⁾

المنهج و تعليم اللغة: قبل بيان مفعول المنهج و تأثيره في اللغة نتطرق إلى تعريف اللغة علما أن الباحثين القدامى و المعاصرين في علم اللغة قد اختلفوا في تعريفها، ونحن لا نبحت هذا الاختلاف، وإنما ما يهمنا هو الوقوف عند تعريف، يوفق بين الآراء و يحدد طبيعة اللغة في إطار مقبول، يعكس حقيقة مكوناتها و أبعادها.

أولا: تعريف اللغة: تعرف اللغة بأنها قدرة ذهنية مكتسبة، يمثلها نسق يتكون من رموز اعتباطية منطوقة يتواصل بها أفراد مجتمع ما⁽¹⁰⁾ هذا التعريف ينطوي على مجموعة من الحقائق التي تنطوي عليها طبيعة اللغة في حقيقتها و كيانها الداخلي الدقيق هي:

1- إن اللغة ملكة ذهنية تتكون من مجموع المعارف اللغوية بما فيها المعاني و المفردات و الأصوات و القواعد التي تنظمها جميعا، تتولد و تنمو في ذهن الفرد ناطق اللغة، أو مستعملها فتمكنه من إنتاج عبارات لغته كلاما و كتابة.
2- إن هذه القدرة تكتسب و لا يولد الإنسان بها.

3- إن هذه الملكة أو القدرة المكتسبة في طبيعتها تتمثل في نسق متصف أو متعارف عليه بين أفراد ما، يطلق عليه الجماعة اللغوية، الجماعة الناطقة بلغة ما، و يتدخل في تكوين هذا النسق أنساق أخرى متفرعة، و يرتبط بعضها ببعض الآخر، و هذه الأنساق هي كما يلي:

أ- النسق الصوتي الذي يحدد نطق الكلمات، أو أجزاء الكلمة وفق الأنماط المتعارف عليها لدى الجماعة اللغوية.

ب- النسق الدلالي، ترتيب الألفاظ وفق سماتها الدلالية المعروفة.

ت- النسق الإعرابي أو النحوي، والمقصود به ترتيب الكلمات والجمل وأشكالها المقررة في اللغة.

ث- النسق الصرفي، وهو الذي يقوم على بيان الكلمات، وأنواعها واشتقاقاتها أو تصريفاتها.

ج- النسق المعجمي، والمقصود به مجموعة المفردات اللغوية المتاحة للتعبير عن المعاني، للمواقف المختلفة في المجال اللغوي.

4- إن اللغة ليست غاية في ذاتها، وإنما هي أداة يتواصل بها أفراد مجتمع معين للتعبير عن حاجياتهم المختلفة⁽¹¹⁾.

ثانيا: أهمية اللغة: إن الأهمية التي تكمن من ورائها اللغة، تتجسد في التواصل الاجتماعي، فيما بين الناس، فهي وسيلة للإنسان للتعبير عن حاجاته، ورغباته، وأحاسيسه، ومواقفه وإرضاء غريزة الاجتماع لديه، لأن الإنسان ما يتحصل عليه من مظاهر حضارية، ومعارف وطرق ووسائل مادية، فإنه يشعر في قرارة نفسه بأنه يعتمد اعتمادا كليا على ما لديه من قدرة لغوية لتحقيق مآربه،⁽¹²⁾ والسؤال الذي نطرحه هنا. ما علاقة المنهج المدرسي القديم والحديث باللغة؟ إن المنهج القديم كان منصبا على تلقين المعارف والبرامج فكانت اللغة كمادة من المواد الفكرية والمعرفية الأخرى تعطى للمتعلمين جاهزة، لا يحق للمتعلم التصرف في ألفاظها، أو نحتها أو حتى التفكير في إعادة بناء قواعدها، فعلم العربية النحو والصرف والإعراب الخ... وضعت في العصر المدرسي القديم في المنهاج التعليمي - وهو المنهج المدرسي كقياس للسان من حيث ضبطه وعصمته من الخطأ اللفظي، كانت اللغة وفروعها علوم قائمة بذاتها إلى جانب المعرفة والعلوم الأخرى، ولم يجد نقد بنيوي لعلوم اللغة وقتذاك أو اللغة في حد ذاتها لاعتبار أنه لا يمكن فصل

اللغة عن مجموع البرامج الدراسية الأخرى فهي أساس أو جوهر لكل فعل معرفي أيا كانت طبيعة مادته فلا يمكن لطالب علم الرياضيات أن يكون فاقدا للغة وكذلك طالب الفيزياء والعلوم وهلم جرا. فكل هذه المواد الدراسية والتي تمثل المنهج الذي يحدث تغييرا في النشاط الذهني والوجداني والجسمي عند الإنسان، أو يسبب تعديلا أو تغييرا في السلوك، فتكوين اللغة في معطائها القياسي لا يكون مجردا أو خاليا من المعطى المادي المعرفي وهذا ما يذهب إليه اليوم المنهج المدرسي المعاصر في بناء اللغة في معطائها الواسع النحتي والصرفي والعلمي والاجتماعي والثقافي، ساعيا إلى تحقيق وحدة نسقية متكاملة. لذلك يذهب أغلب علماء الأجناس الثقافية، أن اللغة أداة للإنسان يستخدمها في "التخاطب مع الآخرين والتفاهم وتبادل الأفكار والآراء والمشاعر معهم وطريقه إلى فهمهم وتحسس أذواقهم وسبيله إلى معرفة مذاهبهم، ووسائل التأثير فيهم وإيجاد العلاقات وبناء الروابط وتحقيق سبل التعاون والتكافل معهم ومن ثم توفير كل ما يساعد على العيش بينهم في يسر وطمأنينة وسلام"⁽¹³⁾ ومعنى أن اللغة في المنهج المدرسي الحديث يصبح بمثابة الأسس أو المبادئ التي تعمل على توفير الحماية أو الرعاية للإنسان بين أفراد مجموعته وهذا ما ذهب إليه الفيلسوف الألماني هيدجر حين قال: "إن اللغة هي منزل الكائن البشري" كما أن المنهج المدرسي يعمل على تحقيق وظيفة للغة تتمثل في إعطاء الفرد قوة في امتلاك الأفكار والمعلومات ونقل الأحاسيس إليه بل إنها تعمل على إثارة الأفكار والانفعالات ومواقفه الى تفتيق ذهنه وتوسيع آفاق خياله وتنمية قراراته الإبداعية ولعل هذا ما جعل بعض الفلاسفة أن يوثقوا الصلة بين اللغة والفكر إذ نظروا وقرروا أن "إمكانية التفكير أولا وأخيرا تستند إلى اللغة التي تستخدم في إبراز عناصر الفكر، ففرض إنسان دون لغة معناه فرض إنسان دون فكر"⁽¹⁴⁾ بل أن بعض العلماء

مثل واطسن وآرثر كيسلر يرون بأن اللغة هي التفكير نفسه يقول كيسلر: "إن التفكير ليس سوى الحركات اللاشعورية للحبال الصوتية وأنه نوع من الهمس غير المسموع الذي يدور بين المرء ونفسه"⁽¹⁵⁾. إضافة أن هذا المنهج المدرسي الحديث الذي هو مجموعة الخبرات التربوية والمهنية والاجتماعية والنفسية والفنية والثقافية التي تهيئها المدرسة للتلاميذ داخل المدرسة وخارجها يؤدي دورا هاما في بناء النمو اللغوي فمتى اتسعت لغة الإنسان بمجموعة من المعارف، ولكل معرفة لغة خاصة - أعني أن كل علم له مصطلحاته - ارتقت قدراته العقلية فنما ذكاؤه وقوى تفكيره واتسعت ذاكرته⁽¹⁶⁾ وهذا ما أكد عليه الفيلسوف إتين كوندياك Etienne Condillac على أن المعارف والمفاهيم والخبرات تستمد أساسا من الاحساسات أي من خلال التجارب الحسية غير أن الوسطة الأولى والأساسية في اكتسابها هي اللغة وبالتالي تصبح الأحاسيس واللغة معا أساس لتكوين الأفكار الكلية، وتكوين العمليات النفسية وتطوير القدرات العقلية⁽¹⁷⁾ ومن هذا المنطق أكد "كوندياك" أن اكتساب المهارة اللغوية يؤدي الى ارتقاء الذكاء وذهب إلى ذلك "بياجيه"، فيرى أن الأفكار والمفاهيم تكتسب من المجتمع والشرط الأساسي لاكتسابها ونموها ونمو المخططات العقلية المنبثقة والمتطورة عنها في المجال الاجتماعي هي اللغة. فاللغة تحدد وتميز الأشياء والوقائع وتعمل على نقل هوية الأشياء وماهياتها من عالمها المحسوس إلى العالم الذهني المجرد، لهذا يرى "بياجيه" أن اللغة تعمل على مساعدة الطفل في تصنيف إدراكاته والبحث عن العلاقة الدقيقة القائمة بينها واختزانها في ذاكرته، واستمرارية التفكير، وتدفعه الى الابتكار. لأن الإنسان حين يعبر عن المفاهيم والأفكار والمعارف التي تحصل عليها فهو يعبر عنها باستخدام عناصر اللغة بطريقة خاصة به إذ يركب جملة ويبنى عباراته ضمن عمليات ابتكارية ذهنية متميزة

لهذا من الصعب أن ينمو الذكاء دون نمو اللغة⁽¹⁸⁾ فالمنهج المدرسي الحديث يؤكد على هذا.

إن عملية تكوين الفعل التعليمي في سلوك الإنسان العام والخاص والذي لا يتم إلا بواسطة اللغة قد تتم بمجموعة طرائق تعرف اليوم بطرائق التدريس وهي عديدة. ظهرت ونتجت عن الخبرات التكوينية عبر مر العصور وهي التي تستخدم في التكوين والتدريس وتتميز هذه الطرائق عن بعضها البعض، والمدرس يختار الطريقة التي يرغب من خلالها تثبيت الفعل التعليمي، وقد يوظف كل الطرائق أثناء عملية التدريس للمنهاج المقرر ويذكر المختصين في علم النفس والتربية أن هناك مميزات عامة لطرائق التدريس الفعالة نذكر بعضها:

- 1- تهتم طرائق التدريس الحديثة بإثارة التلميذ وتنمية ميوله وقدراته ومراعاة جميع جوانب الخبرة ولا يكون هذا في نظري إلا باستخدام اللغة وحسن كيفية توظيفها.
- 2- ينتهج التعليم بطريق التعاون بين التلاميذ ومع الآخرين خارج المدرسة وفي نظري هذا لا يحدث إلا بواسطة اللغة.
- 3- يكون التعليم عن طريق إثارة المشكلة، والبحث عن حل لها.
- 4- مراعاة مستويات التلاميذ واستعداداتهم.
- 5- مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ، وذلك بتوفير فرص التعليم تناسب الميول والقدرات المختلفة.
- 6- إثارة النواحي الوجدانية نحو المدرسة والعمل المدرسي ونحو العادات والتقاليد المرغوبة.

وفي كل هذا نراعي بساطة اللغة وقوتها وحسن توظيفها وجمالها وأحكامها بشكل متقن وكأن اللغة تعتبر بمثابة طريق للتدريس في أداء الفعل التربوي قصد تكوين الفعل التعليمي ضمن السلوك العام، أو السلوك الخاص، بالإضافة إلى ما ينبغي أن يراعى في طريقة التدريس مهما كانت الطريقة بعض الأساسيات منها:

- 1- التدرج من المعلوم الى المجهول.
 - 2- الانتقال من السهل إلى الصعب، أو التدرج من البسيط الى المعقد.
 - 3- التدرج من الكل ~الفكرة العامة~ إلى ثم إلى الكل.
 - 4- التدرج من المحسوس إلى المجرد.
 - 5- التدرج من الجزئيات إلى الكليات.⁽²⁰⁾
- والطرائق المستخدمة في التدريس هي:

الطريقة الإخبارية أو الإلقائية أو المحاضرة: وهي الطريقة التي يعتمد فيها التدريس على إلقاء المعلومات بأسلوب إخباري مهما كان نوعها وبشكل جاهز وهذه الطريقة مستخدمة في التعليم قديما وحتى يومنا هذا. وقد تعرضت للنقد من طرف الطريقة الحديثة، لكن هناك مواقف تعليمية تحتاج إليها الطريقة الإلقائية. منها:

- عرض فكرة لا يعرفها التلميذ.
- ربط الدرس الجديد بالقديم.
- ضيق الوقت لمعرفة معلومات وحقائق كثيرة للمنهاج الدراسي التعليمي.
- كما انتقدت هذه الطريقة من طرف التربية الحديثة، أنها تدفع بالتلاميذ الى الكسل والخمول ولا تدفعهم إلى المشاركة، ولا تعمل على يقظة عقولهم

وتنميتها، ولا تصلح لتلاميذ المرحلة الإعدادية والثانوية، لأن ليس لديهم القدرة على تسجيل الملاحظات أثناء المحاضرة، بل حتى لدى طلاب المراحل الجامعية بعضهم غير قادر على ذلك.

طريقة المناقشة والأسئلة: هي طريقة تعتمد على السؤال بإثارة الاهتمام وإدارة الحوار بين التلاميذ والأستاذ، والأسئلة لها أنواع منها الأسئلة الاختيارية، والأسئلة التي تثير التفكير.

طريقة المناقشة الجماعية: هي طريقة يعتمد فيها التدريس على مجموع الطلبة فالتدريس يقام جماعيا وتحدث المناقشة بين الطلاب، وما الأستاذ بهذه الطريقة إلا موجه فني وليس القائد المستبد، وتصلح هذه الطريقة في تدريس العلوم الاجتماعية والأدبية والإنسانية وهي طريقة لا تصلح للمرحلة الابتدائية ولا تساعد هذه الطريقة على اكتساب التلميذ المهارات الفردية مثال مهارات الحساب والإملاء والموسيقى الخ.. التي تعتمد على المجهود العملي الفردي.

طريقة الاستقراء والقياس:

أ- **طريقة الاستقراء:** هي تطبيق الاستقراء في عملية التدريس وهو الانتقال إلى المعرفة الكلية عن طريق المعرفة الجزئية، فيلاحظ الطالب حقائق جزئية ثم يستنتج منها حقائق عامة، أو يصل إلى قانون عام أو تعميم، وهذه الطريقة تصلح لدراسة قواعد اللغات، والرياضيات والعلوم⁽²¹⁾. كما لهذه الطريقة مزاياها، وعيوبها، من مزاياها أن المعلومات تثبت في ذهن التلميذ لمدة طويلة لأنه توصل إليها بنفسه ومن عيوبها أن بعض القواعد والقوانين لا يتيسر للتلميذ العادي بنفسه أن يصل إليها، بالإضافة إلى ذلك أن الوقت غير كاف لتحقيق ذلك على الدوام.

ب- طريقة القياس: هذه الطريقة تقوم على تطبيق القوانين أو التعميمات على الأمثلة أو المواقف المشابهة وتتميز بالسهولة والسرعة وعدم تكليف التلاميذ مشقة التفكير وهي مهمة في كثير من الأحيان كما هو الحال في دروس اللغة والعلوم والرياضيات طريقة "هربارت"

المحاضرة: اهتم هربارت 1776م - 1831م، بترابط المعلومات السابقة واللاحقة أو الجديدة وقدم في هذا النحو المنهجي خطوات في التدريس وهي كما يلي:

العرض: يقدم الجزئيات أو الحقائق التي تستخلص منها القواعد أو التعميمات وتؤخذ هذه الحقائق من خبرة التلاميذ أنفسهم ومشاهدتهم، إلا أنها تعتمد على معرفة التلاميذ وثقافتهم السابقة.

الربط أو المقارنة: يقوم المدرس بعد عرض المعارف الجزئية بمقارنتها ببعضها البعض وبالأشترار مع التلاميذ وبيان العلاقات بينها، وربطها ببعضه، قصد الوصول إلى مرحلة التعميم.

التعميم: يستطيع التلاميذ بعد عرض هذه المراحل عرض الحقائق وربطها ووصف الأجزاء المكونة والأجزاء المشتركة لها بعبارة واحدة وواضحة وذلك بمعاونة المدرس.

التطبيق: وهي المرحلة التي يفحص بها التلاميذ صحة التعميم، أو المعرفة الكلية بتطبيقها على أمثلة أخرى ومن ميزة هذه الطريقة أنها تقوم بتقسيم الدرس إلى مراحل أو خطوات⁽²²⁾.

طريقة حل المشكلة: رائدها "جون ديوي" 1859م - 1952م فالإنسان يتعلم عن طريق حل المشكلة إذ يواجه المرء كثيرا من المواقف والمشاكل التي يصعب عليه فهمها وتعليلها فيحاول جاهدا في ذلك فهم منطلق وجودها

وغايتها، قصد الاهتمام إلى حلها، والتربية الحديثة تقوم على هذه الطريقة لإثارة تفكير التلميذ والعمل على تشويقه وهذا من أجل تدريبه على حل المشكلات التي يواجه بها مشكلات أخرى في مستقبل حياته.

والمشكلة لا تكون تافهة أو معقدة، وإنما المشكلة ترتبط بواقع المتعلم وبيئته، ودور المدرس هو المرشد والموجه، ولا يتدخل إلا عند الضرورة حتى يترك للتلميذ حرية التفكير ومحاولة الحل بنفسه، كما يعتمد التلميذ على الوسائل المختلفة من مراجع ومشاهدات وزيارات وعروض سينما ومسرحيات وهذا لتحليل المشكلة وتنظيم طريقة عمل وتصنيف النتائج وتبويبها وتلخيصها في صورة قواعد.

إن هذه الطريقة تتميز بمبدأ الواقعية، وعملية التدريس مرتبطة بالتلميذ وتقوم عليه أساساً، إذ تجعله في موقف إيجابي نشيط، لأن حل المشكل هو أساس التعليم فالمشكل هو محور النشاط ومحور العملية التعليمية في الآن ذاته. إن هذه الطريقة أحياناً تسمى بالطريقة العلمية في التفكير وقد حلل ديوي عناصر التفكير العلمي التي يتبعها الباحثون في طريقة حل المشكلة على النحو الآتي:

- 1- الشعور والإحساس بالمشكلة وتعيينها والعمل على حلها.
- 2- جمع المعطيات عن المشكلة التي هي موضوع البحث.
- 3- وضع الفروض الممكنة والملائمة لحل المشكلة.
- 4- التحقق من صدق الفروض أو كذبها بالتجربة.
- 5- الوصول إلى النتائج أو القوانين أو القواعد.
- 6- تطبيق النتائج⁽²³⁾.

تعمل هذه الطريقة على تكوين القدرات العقلية عند الطلاب، وعلى تنمية الاهتمام بحب المعرفة، وبحب الاستطلاع، وأن هذه الطريقة تستخدم في أغلب مواقف التعلم.

طريقة المشروع: هي طريقة تجسدت بتطبيق آراء جون ديوي، واكتشفها المربي الأمريكي وليم كلياتريك وحقيقتها تقوم على اقتراح مشروع لحل المشكلة، ويتعلم الطفل خلال تجربته لأداء المشروع كثيرا من الخبرات التي تنفعه في حياته الحاضرة، وتربطه أيضا بمساعدة مشروعات أخرى، وتتميز هذه الطريقة بربط التدريس بالحياة ومشكلاتها، وتساعده على تكوين شخصية التلميذ وتنمية روح الإبداع والابتكار والاعتماد على النفس عنده، وتدفعه إلى المزيد من النجاح وطريقة المشروع يقوم بها فرد أو جماعة وينفذ العمل في طريقة المشروع بصورة تنظيمية وتمثل في أربع خطوات.

1- اختيار المشروع وتعيين الهدف أو تحديده، ويشترك الطلبة والمدرسة في هذه الخطوة.

2- وضع خطة للعمل وتكون هذه الخطة بعد إلمام ودراسة كل جوانب المشروع.

3- تنفيذ المشروع ويقوم به الطالب عمليا وهذا بتوجيه من المدرس.

4- الحكم على النتائج بعد تنفيذ المشروع، يجتمع التلاميذ ويقدمون النتائج مكتوبة وملخصة، ويتناقشون في مدى أهميتها ويكون مصحوبا هذا النقاش بنقد، ويتم تسجيل ما وصلوا إليه من حقائق في تقارير حتى يمكن الرجوع إليها عندما يرغب غيرهم من التلاميذ القيام بنفس المشروع، ويجب أن تكون للمشروع مواصفات تربوية منها:

أولا: يجب أن تكون للمشروع قيمة تربوية.

ثانيا: أن لا تكون هناك صعوبات مادية وبشرية في تنفيذه.

ثالثا: يشترط أن يكون الوقت كافيا.

رابعا: يجب أن لا تكون هناك خطورة على التلاميذ من جراء تنفيذه.

خامسا: يجب أن يكون عدد التلاميذ أو الطلاب مناسبا للمشروع وهذا من أجل ضمان اشتراك كل تلميذ في المشروع.

سادسا: يمكن القيام بأكثر من مشروع إذا كان عدد التلاميذ كبيرا.

أمثلة عن المشروعات:

- مشروع إعداد تعليم اللغة.
- مشروع إعداد مهرجان للشعر والقصة.
- مشروع محو الأمية.
- مشروع كتابة المقالة القصيرة، والقصة القصيرة.
- مشروع إعداد متحف المدرسة.
- مشروع صناعة الصابون.
- مشروع إعداد مزرعة ملحقة بالمدرسة.
- مشروع زيارة ورشة السكك الحديدية⁽²⁴⁾.
- مشروع إعداد مسرحية.

طريقة الوحدات: هي الطريقة التي تلغي الحواجز بالعمل على تقييم المواد الدراسية وفصلها عن بعضها البعض، فالمعرفة في اكتسابها يقتضي نواحي كثيرة من الخبرات، وبالتالي فعلى المتعلم أن يبحث عن المعلومات المختلفة

حتى يتمكن من حل مشكلته، أو القيام بمشروعه. فهي الطريقة التي يدرس بها التلاميذ موضوعا معيناً وفي صورة كلية كاملة مجزأة.

إن المعرفة فيها كلية حيث تضم دراسة كل المعلومات اللازمة. وقد كان لهذه الطريقة مفعول إيجابي في المدرسة الابتدائية، والمدرسة الإعدادية ومن أمثلة طريقة الوحدات دراسة التلميذ وحدة اللغة، النحوّ وحدة الطاقة، وحدة الثورة الجزائرية، وحدة الماء في حياتنا، وأن الملاحظ على هذه الوحدات أنها تتضمن مجموعة من المعلومات التي تنتمي إلى عدد من المواد الدراسية المتنوعة منها العلوم واللغات، وأيضا المواد الاجتماعية والإنسانية، وما يؤخذ عن هذه الطريقة، أننا لا نستطيع أن نطبقها على مرحلة التعليم الثانوي والجامعي لأن هاتين المرحلتين تتزايد المعلومات ويكون من الصعب دراسة الموضوع الواحد بصورة متكاملة، أحيانا وبالتالي يجد الطالب نفسه مضطرا لدراسة ميادين منفصلة من المعرفة في مواد أو فروع من المواد، ومع ذلك قد ظهرت مواد أو ميادين معرفية جديدة تجمع بين أكثر من فرع من فروع المعرفة⁽²⁵⁾.

طريقة التعليم المبرمج: المقصود بالتعليم المبرمج هو التعليم الهادف إلى تحقيق فكرة تجزئة موضوع الدرس الى أجزاء صغيرة، كل منها لا يتجاوز سطرا أو بضعة أسطر، ولا ينتقل التلميذ من جزء إلى آخر إلا بعد أن يجيب على سؤال في آخره، بأن يكتب كلمة أو يجيب على سؤال أو يضع علامة تدل على فهمه السؤال وكل جزء من هذه الأجزاء تسمى إطارا ويكون من مجموع هذه الأطر البرنامج التعليمي، وهذه الطريقة تهدف إلى تحقيق النتائج الآتية:

1- الانتقال في التعليم من خطوة إلى خطوة عن طريق الحوار، طريقة سقراط. ولكن لا يوجد من يتنافس معه الطالب، وإنما توجد سطور أو سطر، ينتهي بكلمة ناقصة فيتعين على الطالب أن يكتبها.

- 2- يعتمد التعليم في هذه الطريقة على الفرد وحده ويسمى هذا الأسلوب بالتعليم الفردي ويتحقق بهذا توفير لجهد المعلم ووقته وجعل التعليم يسير نحو قدرة كل تلميذ وسرعته الخاصة من جهة.
 - 3- من مميزات هذا الأسلوب أنه يعتمد على إثارة اهتمام التلميذ فالتلميذ إذا لم يركز على كل سطر يقرأه لن يتمكن من السير في البرنامج ويكتشف هذا بنفسه.
 - 4- إن التعليم بهذه الطريقة يحقق للطالب أو التلميذ المكافأة أو الثواب وهذا في الإجابة الصحيحة، أما الإجابة الخاطئة تعد له العقاب الممثل في المادة قراءة الإطار ثانية.
 - 5- يتحقق للطالب من تكرار الإجابات الصحيحة مبدأ التعزيز في التعليم إذ يتجسد عند الطالب تأكيد واقتناع بصحة ما تعلمه.
 - 6- يتحقق للطالب مبدأ التقويم في حينه لعملية التعلم لأن بتطبيق هذه الطريقة طريقة التعليم البرنامجي يتأكد للطالب فهمه الصحيح للعملية التعليمية أولاً، بأول في حين أن التقويم في التعليم التقليدي أحياناً يكون في نهاية العام، وأحياناً في نهاية ⁽²⁶⁾الدرس.
- الطرائق الرئيسية لتعليم اللغة:** لقد تنوعت وتعددت الطرائق وخاصة في بداية القرن الحالي نتيجة أسباب كثيرة منها التزايد المستمر في الحاجة إلى تعلم اللغة الأجنبية، كاللغة العربية الأجنبية بالنسبة لغير العربي، وهذا لاتصال الشعوب ببعضها البعض، لأسباب أنثرو بولوجية وعلمية وسيكولوجية فمن الأسباب العلمية، التقدم التكنولوجي التقني والعلمي للشعوب المتمدنة، أوجب استخدامه في التربية إلى ظهور أنماط تعليم مستخدمة لم تكن متاحة من قبل، من أهم الأسباب ازدياد عدد الراغبين في تعلم اللغات والأسباب التي دفعتهم إلى تعلمهم لهذه اللغات، بعض هذه الأغراض منها السفر، السياحة،

التجارة، سبل الاتصال المختلفة بين الشعوب، متابعة التعليم العالي في العلوم التكنولوجية والإنسانية بلغات مختلفة. وقد عرفت طرائق تدريس اللغات تنوعا وتعددا تلتقي جميعها في أساسيات مشتركة منها التدرج من المعلوم إلى المجهول ومن السهل إلى الصعب وتتفق جميعها أنها لا تقوم على تدريس اللغة بأكملها وإنما تقوم على طريق اختيار ما يناسب سن المتعلم ومستواه العلمي والثقافي. وتمثل طرائق تدريس اللغات ثلاثة اتجاهات رئيسية وهي:

- الطريقة التقليدية.

- الطريقة التركيبية.

- الطريقة التواصلية.

- الطريقة العلمية⁽²⁷⁾.

وقبل التطرق إلى هذه الطرائق نثير مشكلة تتمثل في الانتباه إلى التمييز بين اكتساب اللغة وتعلمها، وبين تعلم اللغة كعلم من العلوم وهذه المشكلة يتخبط فيها المدرسون أو المعلمون لتعليم اللغة، فالأصل أن الذي يتعلم اللغة من أجل تحقيق أغراضه الاجتماعية والنفسية والعلمية والتكنولوجية، فهو يتعلم في شكل ممارسة واستخدام أساليب ومناقشة، وطرح السؤال والجواب، ونقل المعلومات، أما الذي يريد تعلم اللغة كعلم، فهذا شأن المتخصصين الطلبة في الجامعات، والدراسات العليا، الذين يدرسون علم اللغة في قوانينه المختلفة، فالمدرس لتعليم اللغة ينبغي أن ينتبه لهذه المسألة لتجاوز عوائقها وليحقق الهدف الذي ينشده المتعلم⁽²⁸⁾.

1- **الطريقة التقليدية في تعليم اللغة:** هي طريقة الترجمة وطريقة القواعد، وهي أقدم الطرائق التي استخدمت في تعليم اللغة واللغات الأجنبية، وظهر

تطبيق هذه الطريقة في تعليم اللغة اليونانية واللاتينية في العصور الوسطى وهذا من أجل نقل المعارف من ثقافة إلى أخرى، وقد استخدمت حتى في تدريس اللغة الأم، فيتعلم الطالب اللغة الأجنبية أيا كانت عن طريق التعرف على القاعدة اللغوية. وحفظها وتطبيقها بعد ذلك وخصوصا في القراءة والكتابة وأكثر التدريبات شيوعا هو الترجمة من اللغة القومية إلى اللغة الأجنبية، والترجمة من اللغة الأجنبية إلى اللغة القومية والتمرينات اللغوية في هذه الطريقة تقوم على تقسيم الكلام الى اسم، وفعل، وحرف، وصفة، وظرف، وغير ذلك. وكانت هناك مبالغة في تعلم هذه القواعد وحفظها، وأيضا في تطبيقها، لذلك عيب على هذه الطريقة بأن ليس لها أسس سيكولوجية أو لغوية أو اجتماعية واضحة، فهي تعلم اللغة بشكل خاص، وفي غياب مجموعة النظريات العلمية التي يتضمنها محتوى علم اللغة الاجتماعي والتي تهتم أيضا بالدور الذي تلعبه اللغة في الحياة فهي لا تركز على أن تدريس اللغة وسيلة للتواصل الواقعي في الحياة الاجتماعية وإنما تقتصر على لغة الكتب، وبهذا فهي ليست صالحة اليوم في تعليم اللغات في شكلها الحديث المعاصر، بعد ثورة المعلومات والاتصالات، التي ظهرت في هذا القرن.

2- **الطريقة التركيبية "البنوية"**: إن هذه الطريقة تقوم على مجموعة من الطرائق في تعليم اللغة، وهذا الجمع لهذه الطرائق ضمن نطاق الطريقة البنوية كانت نتيجة خمسة عوامل رئيسية.

- رد الفعل التعليمي على شيوع تعليم النحو والصرف، وتحليلهما على حساب الاستخدام الحياتي في اللغة.

- إن علم اللغة الوصفي الحديث الذي ظهر أعقاب الدراسات الأنثروبولوجية التي ترى أنه لا بد من ابتعاد اللغات من وجهة النظر التاريخية والمقارنة، ودراسة اللغة بوصفها كما هي في فترة زمنية محددة، لأجل معرفة الأنظمة

المختلفة الصوتية، والصرفية، والنحوية، التي يتكون بها النظام اللغوي في بنائه الكلي⁽²⁹⁾.

- ظهور علم النفس السلوكي ونظريات التعلم المنبثقة عنه والتي ترى أن اللغة لا تختلف في شيء عند تعلم أي سلوك آخر والتعلم خاضع للظروف التي يتم فيها هذا التعلم، فجميع الأفراد يتعلمون كل شيء بما في ذلك اللغة وهذا التعلم يقوم على المثير والاستجابة، ومبدأ التعزيز. وبهذا فإن هناك تطابقا مماثلا بين علم النفس السلوكي، وعلم اللغة الوصفي، لأن عمل كل منهما يقوم على الملاحظة والاستنتاج، فعالم اللغة يلاحظ اللغة - كما يستخدمها الأصليون، وبذلك يقوم على ضوء هذه الملاحظة استنتاج النظام اللغوي أو البنى اللغوية الصوتية والصرفية والنحوية، وفي المقابل أن علم النفس السلوكي، يقوم بملاحظة الإنسان، (وحتى الحيوان) فهو يسجل حدوث كيفية عملية التعلم إذ يكتشف من خلاله.

• التطور الهائل في العلم والتكنولوجيا. الذي لم يجعل الاتصال بين الشعور أكثر يسرا فحسب بل أتاح استخدام الوسائل والأساليب الوظيفية في عملية التعليم وخاصة تعليم اللغة كظهور الطباعة، والمسجلات الصوتية والمختبر اللغوي، والتلفاز والفيديو.. الخ. لأجل هذا ظهرت طرائق جديدة لتدريس اللغات وهي تعمل على تمكين المتعلم من أغراضه وأهدافه لها علاقة بوجوده الإنساني في إطار الزمان والمكان وفي إطار الزمان الحضاري الذي يعيش فيه مهما كان مجتمعه. إنها تقوم على المثير والاستجابة ومبدأ التعزيز (نظرية بافلوف، ونظرية ثورندايك).

• تزايد الحاجة إلى تعلم اللغة. كاللغة الإنجليزية اليوم التي لم يسبق لها مثيل من قبل فلم يكن الغرض مشابها لتعلم اللغة اللاتينية، كما كان في العصور الوسطى والحديثة، وهو غرض ديني وكان هذا التعليم حكرا على

الفئة الدينية، والفئة الثرية، بل أصبح الغرض مغايرا اليوم في تعليم اللغة كاللغة الإنجليزية لأن تعليم هذه اللغة متاح للجميع ومرغوب فيه عند الجميع، لأنها ارتبطت بهذا التزايد الهائل على مستوى التقدم التكنولوجي والعلمي. في وسائل الاتصالات البرية والبحرية والجوية، ووسائل الاتصالات السلكية واللاسلكية، وتراكم المعرفة بكميات هائلة، مما أصبحت الضرورة ملحة في تعلم هذه اللغة لأجل تحقيق أهداف هذا التمدن كمسيرة هذا العصر الحضاري، والتطلع إليه ولا يكون هذا إلا بتعلم اللغة التي تحمله أو تحتويه⁽³⁰⁾.

هذا وأن الطرائق التي تتركب منها الطريقة البنوية أو التركيبية، هي كما يلي:

أولا **الطريقة المباشرة**: إن هذه الطريقة قامت على نقد الطريقة الكلاسيكية وتهدف إلى تعلم اللغة عن طريق الحديث اليومي الحياتي، فلم يعد الهدف فهم تلك النصوص وترجمتها إلى اللغة الأصل، وإنما تعتمد الاستماع في تعلم اللغة كما يتحدث بها أهل اللغة في حد ذاتهم. كما تعد هذه الطريقة أساسا في دراسة القواعد وتعلمها، وهذا باكتساب المعرفة وبطريقة استنتاجية من خلال التدريب على الجمل والعبارات، وسميت أيضا بالطريقة الطبيعية لكونها تعتمد التعبير الشفوي، واختيار الجمل والعبارات المفيدة في تعليم اللغة.

ثانيا **الطريقة الإصلاحية**: هي محصلة جهود عدد من المهتمين بتعليم اللغات التي ظهرت في مطلع القرن الحالي، كرد فعل على الطريقة التقليدية، إذ تدعو هذه الطريقة إلى تعلم اللغة عن طريق القراءة والكتابة في موضوعات تتصل بالواقع أيضا، وقد عمل أحد التربويين وهو هنري سويت⁽³¹⁾ على تطبيق هذه الطريقة مركزا على الاهتمام في تعليم النطق السليم والاهتمام بالجوانب الصوتية الأخرى وحاول أن يضع أسسا علمية لتعليم اللغة أيا كان نوعها⁽³¹⁾.

طريقة القراءة: ظهرت هذه الطريقة في الولايات المتحدة الأمريكية وقد انتشرت بعد ذلك انتشارا واسعا في أنحاء العالم، والسبب في ذلك لما أتاحتها هذه الطريقة في نفس المتعلم الطالب، رغبة في التعليم والشوق نحو الإطلاع على المعارف عند الأمم والشعوب، والتعرف على المصادر الأجنبية، إذ وجد الطالب في طريقة القراءة تعلم اللغة، ومعرفة خفاياها وجمالها وقيمها، والاستمتاع بلوائحها الاجتماعية، والبيكولوجية والعلمية، التي تحملها اللغة وكأنها مناظر طبيعية حقيقية، فالقراءة سر تعلم اللغة لأنها تحمل المعنى واللفظ معا أثناء عملية التعلم، وتحمل اللغة بنوعها الشفوي والمكتوب وعلى ضوء هذه الطريقة كان يطلب من الدارس قراءة اللغة الجديدة محاولة فهمها دون اللجوء إلى اللغة القومية والترجمة إليها، كما أن هناك نوعين من القراءة - القراءة المركزة التي تستولي كليا على شعور ذات المتعلم من خلال فقرات أو موضوعات قصيرة، تعطي بعدها أسئلة كثيرة حول تفاصيل ودقائق هذه الفقرات أو الموضوعات، والقراءة الموسعة لكتب وقصص ذات موضوعات جذابة وشيقة للطلبة مكتوبة بلغة سهلة، وبسيطة وضعت لأجل تشجيع الطلاب على قراءتها وفي كلتا الحالتين كان التركيز على القراءة الصامتة، والتدرب على إنجازها بسرعة تقترب من سرعة الناطقين الأصليين بهذه اللغة.

الطريقة السمعية الشفوية البصرية⁽³²⁾ سميت هذه الطريقة بهذا الاسم لأنها تجمع بين الاستماع إلى اللغة أولا ثم إعطاء الرد الشفوي مع إمكانية وجود عنصر مرئي أو من دونه، وإدخال العنصر البصري في هذه الطريقة للاعتماد عادة على وجود عنصر مرئي، مثل الصورة أو الرسم لمساعدة المتعلم على تكوين صورة واقعية عن معنى الصيغة اللغوية التي يجري تعلمها.

إن هذه الطرائق التي ذكرناها الإصلاحية والمباشرة، والقراءة هي مجرد إرهاصات ومقدمات لهذه الطريقة إذ بعد الحرب العالمية الثانية وازدياد طرق

الاتصال بين الأمم والشعوب في العالم، وتزايد الاحتكاك والتفاعل الثقافي والحضاري فيما بينها، أدى بالضرورة إلى الحاجة الماسة إلى تعلم اللغة الأجنبية أيا كان جنسها، وكان هذا الأمر عاملاً ملحاً على رجال التربية، وعلماء اللغة، وعلماء النفس اللغويين، ورجال الإدارة، والمدرسين، وكل من له قدرة في صنع القرار، فالتجأوا إلى هذه الطريقة، لأنهم يرون أنها الأنجع في تمكين المتعلم من اللغة، وترجع أصل وجود هذه الطريقة إلى علماء اللغة البنيويين، وعلماء الإنسان، إذ كانوا يجرون دراساتهم على مختلف اللغات مثل الدراسات التي أجريت على الهنود الحمر، حيث بينت نتائج هذه الدراسات أن اللغة هي ما يتكلمه الناس بالفعل وليس ما يذهب إليه النحويون التقليديون إن اللغة ميزان أو قياس للسان أو أن هناك لغة معيارية ينبغي على الناس الالتزام بها بالإضافة أن علماء النفس يقولون أن استخدام اللغة ماهي إلا مجموعة من العادات التي تتكون عن طريق مبدأ التعزيز بعد عملية المؤثر والاستجابة، أو بالمكافأة في المواقف الاجتماعية، وبما أن الإنسان يكتسب لغته الأصلية في شكلها الشفوي أولاً، فقد ساد الاعتقاد أن تعلم لغة أخرى قد يتم بسهولة أكثر فيما لو قدم الجانب الشفوي من تلك اللغة على الجانب المكتوب.

وقد جمع أحد المهتمين في التعليم وهو "مولتون" مبادئ هذه الطريقة في خمس فرضيات نعرضها فيما يلي⁽³³⁾.

اللغة هي الكلام المنطوق: لا الكلام المكتوب، لأن تعليم اللغة الناجح يكون قبل القراءة والكتابة ويلتزم في هذا مبدأ التدرج من البسيط إلى المعقد.

اللغة مجموعة عادات: اللغة تكتسب كعادات سلوكية وثقافية أو اجتماعية أخرى، والسؤال كيف يتم اكتساب هذه العادات إن النظريات السلوكية في نظرية التعلم وخصوصاً نظرية "سكينر" الإجرائية تبين أن العادات تتكون عندما يتم مبدأ التعزيز أو المكافأة، حدوث عمل ما مباشرة إذ مثلت هذه

الطريقة أساليب التدريس بالمحاكاة والاستظهار والتدريب على الأنماط اللغوية ولم يكن التدريب على هذه الأنماط اللغوية يتم عن طريق التحليل المنطقي، كما كان عليه الحال في الطريقة التقليدية، وإنما يتم عن طريق التدريب المتواصل على الأنماط اللغوية حتى يتوصل المتعلم من التمكن منها تمكنا تاما واستخدامها بصورة آلية وتلقائية دون الالتفات بالنظر إلى الأجزاء المكونة لها.

على المدرس أو المعلم، أن يعلم اللغة ذاتها، ولا يعلم معلومات عن اللغة، ويعني هذا تعويد الطلاب على الأنماط اللغوية المختلفة في صورة جمل مفيدة مرتبطة بالواقع الحياتي للطلاب، ولا يضيع الوقت في تقسيم الجملة الى مبتدأ وخبر والأفعال الى ماض وحاضر ومستقبل، وتحويل الجمل من صيغة المبني للمعلوم الى صيغة المبني للمجهول والى غير ذلك من التمارين التي تدور في فلك اللغة ولا تدرب الطلبة على استخدام اللغة في حد ذاتها.

اللغة هي الأساليب والألفاظ والدلالات التي يستخدمها أصحابها لتأدية وظيفة حياتية، وليست الأنماط اللغوية المعيارية والقياسية التي يفرضها عليهم آخرون، ومعنى هذا أن الطلبة يتعلمون اللغة بهذه الطريقة على أنماط لغوية، يستخدمها الناطقون الأصليون باللغة فعلا، بغض النظر عما إذا كانت هذه الأنماط مقبولة أو غير مقبولة من أصحاب تطهير اللغة، من كل شائبة أو من كل ما يرد في الكتب الأدبية، فالصيغ الدارجة لا بد من تعلمها تماما، كما يجري تعلم الصيغ التي تستخدم في تعلم فن المستويات الأدبية العليا.

اللغات تختلف فيما بينها، تنظر هذه الطريقة على أن أي لغة تختلف عن باقي اللغات الأخرى، لذلك عملت على تعليم الفروق بين اللغات خصوصا في مجال الأصوات والتراكيب اللغوية، وركزت على تعليم التعبيرات الإصطلاحية الخاصة باللغة وابتعدت عن أسلوب الترجمة.

إن هذه الطريقة عرفت نجاحا ولقيت قبولا واستحسانا من طرف الطلبة والمدرسين، وانتشرت في العالم، وبلغت ذروتها في الستينيات من القرن العشرين، لكن بعد ظهور نظريات لغوية وسيكولوجية جديدة، جعلت المهتمين يتساءلون عن حقيقة جدوى هذه الطريقة، فظهرت نظريات التعلم وخصوصا النظريات المعرفية، التي تخالف أسس النظريات السلوكية التي قامت عليها كالمناداة بأن التعلم لا يتم عن المثير، والاستجابة، والتعزيز، والمكافأة وتكوين العادات والاشتراط، ورأت أن هذه على الأقل ليست الطريقة الوحيدة التي يتعلم الإنسان السلوك بها وبالأخص السلوك اللغوي، لأنها ترى أن الإنسان لا يولد وذهنه صفحة بيضاء، تفعل التجربة عليها فيما بعد ما تشاء، إنما يولد ولديه استعدادات وعلى الأخص تعلم اللغة دعاها البعض جهاز اكتساب اللغة بمعنى ملكة القدرة على اكتساب هذه اللغة، وهي توجد عند بني الإنسان جميعا وعن طريقها يتميزون عن الحيوانات، ومن ناحية أخرى ظهرت نظريات جديدة تخالف هذه الطرائق، وهي نظرية القواعد التحويلية التوليدية⁽³⁴⁾ التي نادى بها تشومسكي وزملاؤه، والتي تقوم على فرضيات تتعلق بتعلم اللغة وتخالف فرضيات النظريات المعرفية والسلوكية قبلها في التعلم والطريقة البنوية أو السمعية على وجه التحديد التي عملت في الإفراط على التدريب الآلي، والابتعاد الكلي على شرح القواعد اللغوية، وعدم السماح بارتكاب الأخطاء والاقتصار على تدريس أنماط الجمل والكلمات الجديدة - كل ذلك أحدث رغبة عارمة في أوساط المدرسين، وواضع المناهج الدراسية وعلماء اللغة التطبيقيين لتعديل مسار الطريقة السمعية الشفوية.

الطريقة التواصلية: إن هذه الطريقة تعتمد على استخدام اللغة في مختلف الأغراض وفي مختلف المواقف وهذا التواصل يمثل المبدأ الأساسي في عملية تعليم اللغات، بل أن الطرائق القديمة كان الهدف النهائي عندها قائما على دراسة تعلم التراكيب اللغوية وتحليلها، وترجمة النصوص إلى اللغة

القومية والطريقة البنيوية وما نتج عنها من طرائق مختلفة، كانت ترمي إلى تمكين المتعلمين من إتقان اللغات الأجنبية، واستخدامها في تلك المواقف الحياتية، مع العلم أن هذه الطريقة قامت أثناء الحرب العالمية الثانية، لتمكين جيل يتقن مجموعة من اللغات لاستخدامها كجزء من المجهود الحربي للحلفاء، أما الطريقة التواصلية تعمل على تعلم اللغة لا ككيان مستقل ولا قيمة له وإنما هي "أداتنا للتخاطب والتواصل والتعبير عن حاجيات الأفراد والمجتمع، وهو ما يمكن أن نسميه الوظيفة اللغوية" فليست اللغة قوالب وتراكيب وصيغ مقصودة لذاتها، وإنما هي موجودة للتعبير عن الوظائف اللغوية المختلفة، كالطلب، والترجي، والأمر والدعاء، والوصف، والتقارير من آلاف الوظائف اللغوية⁽³⁵⁾. كما تقوم هذه الطريقة على التعامل بين المتحدثين، وهذه العلاقة تعني أن هناك علاقة اجتماعية في تعليم اللغة، إضافة إلى ذلك أنها لا تهمل القواعد الصرفية التي تحكم أصول لغة ما عند استخدام اللغة أمام المواقف الاجتماعية. فهدف تشومسكي هو تعلم اللغة من خلال القدرة اللغوية والتي تمثل عنده نوعين:

النوع الأول: سماه بالقدرة، أو الملكة اللغوية، أو المعرفة اللغوية الكامنة في عقل كل منا.

النوع الثاني: الأداء أو الكلام الفعلي، ومعناه القدرة على التعبير اللغوي في مواقف عدة وأضاف أحد المهتمين بهذا العلم وهو "هيمز" بعد إيمانه بالملكية اللغوية، والأداء اللغوي الذي نادى بهما تشومسكي، ملكة التواصل ومعناه أن الإنسان يعرف القواعد اللغوية، إلى جانب أنه يعرف معها قواعد استخدام هذه اللغة في المجتمع، أي يعرف طريقة استخدام اللغة في التعبير عن الوظائف اللغوية في إطار المجتمع ويفسر هيمز ملكة التواصل هذه بقوله:

إنّ الطفل العادي يكتسب معرفة بالجمل اللغوية، لا كمجرد جمل صحيحة من الناحية اللغوية فحسب، بل كجمل ملائمة للمواقف الاجتماعية المختلفة، وباختصار فإنّ الطفل يستطيع أن يكون لنفسه رصيذا من القدرات على التعبير السليم ويشارك في المواقف التواصلية الشفوية والكتابية على حد السواء، وهذه القدرة جزء لا يتجزأ من موقفه في الحياة، ومن قيمه، ومن دافعيته لاستخدام اللغة وهي جزء لا يتجزأ من قدرته على استخدام اللغة وغيرها من وسائل التعبير في المواقف التواصلية المختلفة⁽³⁶⁾ إذ أن هذه الطريقة تعمل على تعليم اللغة بصورة علمية ترتبط بشخصية المتعلم وبيئته، لأنّ الإنسان وهو محور التعليم على حد تعبير هوانج كائن منظم لذاته بطبعه وليس واقعا على الدوام تحت رحمة العوامل والمؤثرات الخارجية⁽³⁷⁾.

في الخاتمة نقول إن هذه الطريقة التواصلية شأنها شأن الطرائق الأخرى في تعليم اللغات وتعرضت هي الأخرى إلى التعديل والتغير، يقول براون في وصف هذه الطريقة: "يقوم أفراد مجموعة الدارسين بالتعرف على بعضهم بعضا، وتوثيق العلاقات الودية بينهم، من خلال التحدث بلغتهم الأصلية (ولتكن اللغة العربية، على سبيل المثال) ثم يجلسون في دائرة، ويجلس المدرس خارج هذه الدائرة. وعندما يرغب أحد الدارسين في قول شيء، أو طلب شيء من فرد في المجموعة، أو من أفراد المجموعة ككل، فإنه يقول ذلك بلغته الأصلية (أي العربية) بينما يقوم المدرس بترجمة ذلك الى اللغة الأجنبية (أي الإنجليزية مثلا) فيقوم المتعلم بإعادة ما قاله المدرس باللغة الإنجليزية، ويرد عليه أحد الدارسين بلغته الأصلية (العربية)، ويقوم المدرس بترجمة ذلك الى الإنجليزية، ويعيد الطالب الثاني بهذه اللغة، وهكذا يستمر الحوار، وإذا أمكن يجري تسجيلا لهذا الحوار على شريط ليستمع إليه الدارسون زيادة في التعليم.

ويمكن للمدرس أن يأخذ دورا أكثر فعالية في التوجيه والإرشاد والشرح ومناقشة النقاط وغير ذلك⁽³⁸⁾.

إن هذه الطريقة تعرضت للنقد منها:

1- أنها تركز على استخدام اللغة، من دون الاعتماد على التراكيب اللغوية المبنية على القواعد.

2- تركز على الوظائف اللغوية، والمواقف الاجتماعية في تعليم اللغة، فلا يمكن تعليم لغة أجنبية خارج وطنها، وبالتالي لا يمكن تعليم لغة الإنجليزية في بلد عربي، لأنه من الصعب خلق بيئة حضارية أجنبية كاملة لها حق تعلم اللغة.

3- الطريقة التواصلية: تهدف إلى توفر المدرس العالي الكفاءة في اللغة التي يعلمها كفاءة الناطقين الأصليين بتلك اللغة فمن النادر أن نجد مدرس بهذا المستوى فمعظم مدرسي اللغات الأجنبية كمدرسي اللغة الإنجليزية لا تتاح له الفرصة في التمكن المطلق من اللغة الأجنبية ولا يكون له هذا إلا إذا كان المدرس قد عاش في بيئتها التي يتحدثون بها سنوات عديدة.

هذا والسؤال الذي يطرح بعد عرض هذه الطرائق المختلفة في تعليم اللغات والتدريس بصفة عامة أي طريقة فضلى نعتمدها عن غيرها؟ إذا لم تكن أي منها هي الفضلى؟ فكيف يمكن التوصل إلى طريقة فضلى؟ إن الجواب يكمن أساسا في ظهور منهجية جديدة لتعليم اللغات، وأن عرض هذه المنهجية يتطلب منا وقتا طويلا لعرضها وتحليلها نتركها إلى وقت آخر بمدخله أخرى.

الهوامش:

- 1- حلمي محمود فودة، وأبد الرحمن صالح عبد الله، المرشد في كتابه الأبحاث، ط 4، دار الشروق، ص15.
- 2- راجع غازي عناية، منهجية البحث العلمي عند المسلمين، ط 1، دار البعث، قسنطينة سنة 1405هـ-1985م.
- و عبد الرحمان بدوي، مناهج البحث العلمي، دار القلم، بيروت لبنان، ص5.
- 3- غازي عناية، المرجع السابق ص93.
- 4- عبد الرحمان بدوي، المرجع السابق ص5.
- 5- جبرائيل بشارة، المنهج التعليمي، دار الرائد العربي، بيروت لبنان ط1، 1403هـ-1963م ص9.
- 6- المرجع نفسه ص9.
- 7- المرجع نفسه ص12.
- 8- المرجع نفسه ص13.
- 9- نايف خرما، وعلي حجاج، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ص197.
- 10- أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية، أهميتها، مصادرها ووسائل تنميتها، سلسلة عالم المعرفة، الكويت 1996 ص32.
- 11- المرجع السابق ص34.
- 12- روي سي هجمان، اللغة والحياة الطبيعية البشرية، تر، د، داود، حلمي أحمد السيد، الكويت، جامعة الكويت 1984م، 1409هـ مقدمة المترجم، ص37.
- 13- أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية، أهميتها، مصادرها ووسائل تنميتها ص35.
- 14- فايز ترحيني، العربية والمعجمات، مجلة الباحث، السنة العاشرة، العدد الثاني، نسيان، حزيران 1988م، الكويت، ص126.
- 15- نقلا عن أحمد أبو زيد، الفكر واللغة، مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني، العدد الأول، 1977م، ص4.
- 16- فاخر عاقل، أصول علم النفس وتطبيقاته، دار العلم للملايين، بيروت 1984، ص132.
- 17- أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية، ص38.
- 18- المرجع نفسه، ص38.
- 19- إبراهيم عصمت مطاوع، وواصف عزيز وواصف، التربية العملية وأسس طرق التدريس،

- دار النهضة العربية، بيروت لبنان 1982، ص 25.
- 20- المرجع نفسه، ص36.
- 21- إبراهيم عصمت مطاوع، وواصف عزيز واصف، التربية العملية وأسس طرق التدريس، دار النهضة العربية 1982، ص 27.
- 22- المرجع نفسه، ص32، وص33، وراجع عبد المجيد عبد الرحيم، تدريس العلوم الفلسفية، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ط1، ص108.
- 23- إبراهيم عصمت مطاوع، المرجع السابق ص24 وراجع أيضا عبد المجيد عبد الرحمن، مرجع سابق، ص130، ص131.
- 24- إبراهيم عصمت مطاوع، المرجع السابق، ص36، ص37.
- 25- عبد المجيد عبد الرحيم، المرجع السابق، ص124، وص125.
- 26- إبراهيم عصمت مطاوع، التربية العلمية، ص40.
- 27- نايف خرما، وعلي حجاج، اللغة الأجنبية، تعليمها وتعلمها، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ص126.
- 28- المرجع نفسه، ص126.
- 29- نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، 1978-1979، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص106.
- 30- نايف خرما، وآخرون، اللغات الأجنبية... ص172، ص173.
- 31- المرجع نفسه، ص174، وص175.
- 32- المرجع نفسه، ص176.
- 33- اعتمد في عرض هذه الفرضيات كتاب، نايف خرما، اللغات الأجنبية، تعليمها وتعلمها ص177.179.180.
- 34- المرجع نفسه، ص182.
- 35- المرجع السابق، ص184.
- 36- نقلا عن المرجع السابق، ص186.
- 37- المرجع السابق، ص187.
- 38- المرجع السابق، ص191.